

التحليل الأسلوبي للنص الشعري

مقاربة في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب

كزيز عبد الحليم²

عواس الوردي¹

1- طالب دكتوراه جامعة عباس لغرور خنشلة-الجزائر - dodo.wardi40@gmail.com

2- طالب دكتوراه جامعة عباس لغرور خنشلة-الجزائر - kezizdzoui2015@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا المقال بالوصف والتحليل إلى استجلاء الخصائص والسمات الأسلوبية واستنطاقها في الشعر العربي المعاصر، من خلال اختيارنا لقصيدة أنشودة المطر للشاعر العراقي بدر شاكر السياب باعتبارها إحدى القصائد التي يحفظها التاريخ بامتياز، أبدع الشاعر نظاما وأسلوبا وتفنن فيها، معبرا فيها عن آلامه وآماله تجاه قضايا وطنه فكانت هذه القصيدة رسالة داعية إلى التحرر والنهوض من أجل الدفاع عن الهوية العربية، وقد اتبعنا في كل هذا آليات المنهج الأسلوبي البنيوي لدراسة البنيات المشكلة لعالم هذه القصيدة، ورصد أهم الخصائص الجمالية والفنية فيها.

الكلمات المفتاحية: الصورة الفنية، الأسلوب، الأسلوبية، أنشودة المطر، الدلالة.

Abstract This article seeks to select the main characteristics and stylistic features in contemporary Arab poetry depending on describing and analyzing by choosing the rain chant poem by the Iraqi poet Bader Shaker Al-Sayyab that is considered as one of well preserved poems in history where the poet has created and mastered it systematically and stylistically. Accordingly, he expressed his pain and

hopes towards his homeland's issues in his poem as a message calling for liberation and revolution to defend the Arab identity. Thus, we have relied on the different mechanisms of the stylistic and structural approach to study structures and monitor the most important aesthetic and technical characteristics in this poem.

key words: Artistic image, style, Stylistics, rain song, indication.

توطئة:

شهد الشعر العربي المعاصر ظهور الكثير من القصائد التي حاولت نقل تجربة الشعراء و نظرتهم للحياة وكل ما يتعلق بحياة الإنسان العربي، ومنها ما جاء بطابع رمزي بعيدا كل البعد عن المباشرة والتصريح لتترك المتلقي يسبح في بحر التأويلات والتفسيرات بهدف البحث عن المعنى المنشود، فتعددت بذلك تقنيات وآليات التحليل الإجرائي للنصوص من خلال بروز عدة مناهج نقدية اختلفت توجهاتها وتقنياتها في مساءلة العمل الإبداعي، ويعد المنهج الأسلوبي أحد المناهج النقدية المعاصرة الذي ينطلق من النص لأجل بناء ذاته بحثا وسعيا نحو تحديد مكان الجمال الأسلوبي في الأعمال الإبداعية من خلال دراسة البنيات النصية المشكلة لعوالم النص الشعري أو السردي، وبالعودة إلى ما تم ذكره آنفا عن غزارة الشعر العربي المعاصر بالكثير من القصائد التي نتلمس في نصوصها جملة من الخصائص الفنية والجمالية التي يسعى النقد الأسلوبي للكشف عنها، ولعل كتابات العراقي بدر شاكر السياب تحفل بالكثير من الظواهر الأسلوبية التي تحدد معنى النص وحقيقته، ومن أبرز القصائد التي تسابقت عليها أقلام النقاد والأدباء والدارسين "قصيدة أنشودة المطر" التي تمثل مظهرا حيا من مظاهر الحياة العربية والصراع القائم بين الاستعمار والشعوب العربية التي نالت الولايات من ظلم الاستعمار واستعباده، والعراق خير نموذج للمعاناة والآلام النفسية التي مرّ بها، مما حاز في أنفسنا على الوقوف على هذه القصيدة ومحاولة استنطاق التقنيات الجمالية التي وظفها السياب في التعبير عن أفكاره ونظراته تجاه الواقع، وطبعا احتكنا إلى منهجية التحليل الأسلوبي من خلال اعتمادنا على الأسلوبية البنيوية كاتجاه صريح في تفكيك بنيات القصيدة صوتا وتركيبا ودلالة، منطلقين بذلك من إشكالية محورية مفادها: فيما تكمن الخصائص الأسلوبية والفنية في قصيدة أنشودة المطر؟ لتتفرع من هذه الإشكالية التساؤلات التالية: وما هي الصور الفنية التي وظفها الشاعر لتجسيد رسالته وموقفه في ثنايا القصيدة؟ وما دور البنى الصوتية في تشكيل الإيقاع الموسيقي للقصيدة؟

ولكن قبل الخوض في غمار التحليل الأسلوبي وتبيان البنيات الأسلوبية وجب استقراء مفهوم الأسلوب والأسلوبية وأهم اتجاهاتها في الدرس النقدي ورصد علاقتها بالعلوم الأخرى.

1/ استقراء مفهوم الأسلوب والأسلوبية:

انطلقت الأسلوبية من مجموعة من المفاهيم والتقنيات الإجرائية لمساءلة النص الشعري بحثا عن خصائص الأسلوب، ولا شك أن العلاقة بين مصطلحي الأسلوب والأسلوبية هي علاقة كمن فداخل الأسلوب يكمن ويرز إبداع الشخص سواء أكان شاعرا أم روائيا وهذا باختلاف الأجناس الأدبية، فالأسلوبية تبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب لكي تكون علما تحليليا تجريديا يبحث عما يميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب من سائر أصناف الفنون الإنسانية، " فهي تعنى بدراسة ومقاربة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغ وإخبار عادية إلى أداء تأثيري فني"¹ ويفهم من هذا الكلام أن الأسلوبية تهتم بالسمات والخصائص التي تميز كل ما قيل وتأثيره في السامع، وأيضا تهتم الأسلوبية بدراسة الأسلوب و إدراك التميز الذي يقال فيه النص الأدبي وكيفية تشكله.

ولقد اعتبرها شارل بالي فرع من فروع اللسانيات خاصة كونها تعنى بالكلام وهي تتمثل أيضا في جرد الإمكانيات والطاقات التفسيرية للغة بالمفهوم السوسيري دون إغفال دور النقد الأدبي كونه يسعى إلى البحث عن الجمال الفني في النص مما يبين العلاقة الوطيدة بين النقد الأدبي والأسلوبية في وظيفتهما الرامية للكشف عن السمات الفنية في النصوص الأدبية ، فالأسلوبية كمنهج نسقي نصي تبحث في عناصر الجمال الفني في الآثار الأدبية على حد تعبير ميشال ريفاتير حينما اعتبر النص بنية ألسنية تهتم بالنص في حد ذاته بمعزل عن السياقات الخارجية بهدف تمكين القارئ من معرفة انتظام خصائص الأسلوب الفني معرفة نقدية بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظيفية²، إذن الأسلوب طريقة معينة في القيام بفعل معين ينتهجه شخص معين والشاعر أحد هؤلاء من خلال استعمال أفكاره ومشاعره بأسلوب فني متميز، مما يفتح خيوط البحث عند النقاد والدارسين لدراسة ذلك الأسلوب معتمدين منهج الأسلوبية كونها منهجا لغويا يعنى بدراسة الظاهرة اللغوية واستكناه معالم الجمالية فيه وهي تختص بكافة الخطابات وخصوصا الأدبي لما فيه من جمالية فنية وتراكيب دلالية ولقد تفرعت من الاتجاه الأسلوبي اتجاهات عدة نظير العناية الفائقة التي أولاها الأسلوبيون لها حيث تقوم كل واحدة من الاتجاهات على دراسة و وصف النصوص منها الأسلوبية التعبيرية والأسلوبية البنيوية، والنفسية والإحصائية.

2/ اتجاهات الأسلوبية:

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان ، ط2006، 5، ص15.

² - عدنان بن ذريل: اللغة والأسلوبية، ط1، اتجاه الكتاب العرب، ، سوريا، 1980 ص146

1/2 الأسلوبية التعبيرية (الوصفية) : ورائدها "شارلي بالي" CHARLES BALLY " أحد تلاميذ دي سوسير F.De Soussure حيث انطلق في تأسيسه لملامح هذا الاتجاه من دراسته للبلاغة القديمة حيث اهتم بالنبر و الصور و الأساليب، غير أنه لم يتوقف عند حدودها الضيقة بل تعدّها بالاهتمام بالقيم التعبيرية الانطباعية التي يختزلها الأسلوب على شكل شحنات و موجات عاطفية متدفقة فالأسلوبية التعبيرية « تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية »⁽³⁾ كما يعنى بالي في دراساته بالبحث عن « علاقة التفكير بالتعبير وإبراز الجهل الذي يبذله المتكلم ليوفق بين رغبته في القول بما يستطيع قوله »⁽⁴⁾ (خوية، 2013) لأنه المنشئ للخطاب سواء أكان متكلماً عادياً أم أدبياً فهو يجتهد في اختيار طريقة تسهل عملية توصيل الفكرة إلى المتلقي بحيث يتضمن خطابه شحنات عاطفية، و مهمة شارل بالي هنا اكتشاف العلاقة بين تلك الشحنات العاطفية و كيفية التعبير عنها، و بهذا تكون أسلوبية بالي هي « أسلوبية اللغة و ليس أسلوبية الأدب »⁵ من خلال تركيزه على الجانب الأدائي من خلال تأليف الجمل و المفردات و تركيبها إنطاقاً مما يمليه وجدان المخاطب.

2/2- الأسلوبية البنيوية: ويطلق عليها أيضاً الأسلوبية الوظيفية التي ترى بأن أساس الظاهرة اللغوية يكمن في وظائفها وهي مد مباشر للسانيات البنيوية مع دي سوسير F.De soussure التي تنطلق في دراستها من النص بوصفه بنية مغلقة، كما تركز الأسلوبية البنيوية « على تناسق أجزاء النص اللغوية و علاقات التكامل و الإيحاءات التي تحققها تلك الوحدات اللغوية »⁶ (عدنان بن ذريل، 1980) من أعلامها: رومان جاكسون، ميشال ريفاتير، فهذا ميشال ريفاتير يؤمن بوجود بنية في النص وجب البحث عنها مضيفاً إلى هذا القارئ كعنصر فعال رئيسي في تحديد الأسلوب و الأسلوبية، كما اهتم أيضاً "بالسياق لأسلوبي" و اعتبره نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع، أي مضاد للسياق.⁽⁷⁾ أما رومان جاكسون فأكد على الدلالة التي يحملها الخطاب اللغوي من مقاصد الخطاب والوظيفة التي تصبو إليها، أي الوظيفة الشعرية للخطاب، حيث أعتبر رومان جاكسون التحليل الأسلوبي مرتبطاً بالهيكل المنظم للخطاب و أعتبر القواعد ذات وظائف مرتبطة ببنية النص⁸

³-حسن ناظم ، البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر للسياب ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص31

⁴- راجح بن خوية، مقدمة في الأسلوبية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2013، ص15.

⁵- ينظر عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب ، ص51.

⁶- عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوبية، ص:45.

⁷- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1 دار هومة، الجزائر دط، 1997، ص66.

ومنه فالأسلوبية البنوية تبحث في العلاقات اللغوية بين أجزاء النص انطلاقاً من مقصديه النص و الوظيفة التي تؤديها كل وحدة في الخطاب الشعري.

3/2 الأسلوبية النفسية:

تقر الأسلوبية النفسية بأن الأدب نتاج شخصي للمبدع و موقفه من العالم الملاحظ والسعي وراء تقديم رؤية خاصة بأسلوب فني راق من أبرز روادها العالم النمساوي "ليوسبيتزر" "Léo spitzer" * الذي حولها إلى نظرية متكاملة في النقد اللغوي ألف من خلالها كتاب بعنوان " اللسانيات واللغة التاريخية" توصل فيها سبيتزر أن الأسلوبية النفسية تقر بأن الإنتاج الأدبي كل متكامل تتفاعل فيه علاقاته اللغوية لتشكل بنية موحدة، وأن روح المؤلف هي محور الشمس الذي تدور حوله بقية كواكب العمل و نجومه، ودعا بالضرورة إلى العمل للكشف عن ذلك التلاحم الداخلي، وبهذا يعطي ليوسبيتزر لروح المؤلف أهمية كبرى في إنتاج الأعمال الإبداعية⁹ و لعل ما قام به "هنري موييه" "henry mouet" بإحصائه لخمس تيارات تتحرك داخل الأنا العميقة (القوة، الإيقاع، التوجه، الحكم، التلاحم) هذه الأنماط تبرز النظام الداخلي للذات و أن كل عملية إبداع مرهونة بهذه القوى الخمس وأنها عناصر ذات علاقة فعالة فيما بينها¹⁰، و عليه فإن الأسلوبية النفسية تنطلق من مقولة مفادها أن كل أسلوب انعكاس لرؤية ذاتية نابغة من روح المبدع يقدم من خلالها نظرة حول كل ما تحيط به بأدوات تعبيرية خاصة.

4/2 الأسلوبية الإحصائية: وبعد البعد الإحصائي من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينها من خلال إحصاء الظواهر اللغوية في النص، حيث اهتمت الدراسات الأسلوبية الحديثة بهذا المنهج وطبقته على العديد من أعمال الأدباء والشعراء لإبراز السمات أو الخصائص اللغوية التي تتسم بها أعمالهم¹¹ فيعني الدارس الإحصائي بإحصاء الأصوات والأفعال والأسماء والضمائر للتحقق من شخصية المؤلف وتوثيق نسبة النص إلى صاحبه وتطرح دوما السؤال المشهور للأسلوبية: لماذا وظف حرف السين بكثرة مثلاً في سينية البحري، الأفعال أكثر من الأسماء...، أي أن الدراسة الأسلوبية

⁸- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص146.

⁹- موسى رابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها، دار الكندي الأردن، ط2003، ص1:11.

¹⁰- بن يحيى فتيحة: تجليات الأسلوب و الأسلوبية في النقد الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007، ص85.

¹¹- سعد مصلوح، الأسلوب، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1996، ص3، 55.

تسعى إلى الفصل بين خصائص كل أديب وشاعر لمعرفة خصوصيات كل نص عن آخر، ونجد من أبرز علماء الأسلوب الذين طبقوا هذا المنهج " زامب " zambe عندما وضع ما أطلق عليه "المتر الأسلوبي" « ويتمثل في عدد تكرار الكلمات في النص ووضعها في شكل نجمة تمثل متوسطها مما ينتج أبنية خطية مختلفة من النص...»¹²، كذلك نجد " جوزفين مايلز " Joséphin miles في كتابها "عصور وأساليب في الشعر الانجليزي" كذلك سعد مصلوح في الأدب في العديد من كتبه: "الأسلوب دراسة لغوية إحصائية"، إذن فالدراسة الإحصائية تساهم في تحديث كل خاصية أسلوبية في أي عمل أدبي انطلاقاً من إحصاء الظواهر اللغوية البارزة في النص، كل هذه الاتجاهات أسهمت في تشكيل المنهج الأسلوبي الباحث في الظواهر النصية واستنطاق مكامن الجمال فيها، وطبعاً ظهور الأسلوبية ارتبط بعلاقتها وتداخلها بعلوم أخرى تبحث هي الأخرى في طرائق تحليل النصوص.

3/ علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى:

لقد تداخلت عدة علوم مع منهج الأسلوبية في سبيل البحث عن طرائق تشرح سمات النص الشعري وسبل تفكيك ، فحاولت الأسلوبية استثمار بعض العلوم من خلال تمازجها معها وأخذها الكثير من المسلمات والمفاهيم النصية كعلاقتها باللسانيات والنقد الأدبي مروراً بفن البلاغة.

1/3 علاقة الأسلوبية باللسانيات:

كان للأسلوبية علاقة وثيقة باللسانيات كون هذه الأخيرة حاضنة المناهج النقدية باختلاف توجهاتها، فعلاقة الأسلوبية بعلم اللغة علاقة منشأ ومنبت كعلاقة الابن بوالده، وهذا ما يقرّه أغلب الدارسين والباحثين بأن الأسلوبية تمثل أحد فروع اللغة وقريبة للمنطق باعتبارها علماً مرتبطاً بعلم اللغة، لا تهتم فقط بعناصر اللغة في حد ذاتها ، وإنما تسعى للكشف عن الإمكانيات التعبيرية في أداء الكلام وإبراز الأسلوب مما يؤكد على أن الأسلوبية ثمرة من ثمار الدرس اللساني كما يقول جاكبسون " إن الأسلوبية فن من أفنان شجرة اللسانيات " ولذلك التزمت الدراسات الأسلوبية بدراسة المنحى اللغوي في الجانب التطبيقي باختلاف أبعاده ولهذا يمكن القول أن اللسانيات جسر الأسلوبية للأدب بحثاً عن مكامن الجمال في النص الأدبي.¹³

¹² - صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1996، ص:26

¹³ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص97.

2/3 علاقة الأسلوبية بالبلاغة:

يقال بأن الأسلوبية وريثة البلاغة القديمة كونها من العلوم المساعدة في تفسير الآثار الأدبية في نسقها اللغوي لتفتح بذلك خيوط التحليل في الدرس الأسلوبي الذي نهض من أسس البلاغة وطوّرها لإعطاء الدراسة الأسلوبية بعداً جديداً رغم اشتراكهما في المادة والموضوع، فالأسلوبية كعلم ألسني حديث لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون بديلاً عن البلاغة وليس من اليسير على المرء أن يتقبل فكرة وراثة علم ما لعلم سابق، طالما أن هذه الوراثة تحمل في طياتها الدلالة على إفاء العلم السابق بوصفه علماً مستقلاً، ما يؤكد أن البلاغة لها قوانينها في مساءلة النص الأدبي وكذلك الأسلوبية التي أخذت من البلاغة الكثير من المعطيات لتفسير النصوص رغبة في اكتشاف الخصائص الجمالية والفنية المشكّلة لمختلف النصوص الأدبية.

3/3 علاقة الأسلوبية بالنقد:

يمثل النقد جسراً منفتحاً الأبعاد على الدرس الأسلوبي حيث ينطلق هذا الأخير في تحليله للنص الأدبي من خلال عناصره ومقوماته الجمالية جاعلاً من اللغة والبلاغة جسراً لوصف النص الأدبي، فالأسلوبية كمنهج لغوي يعتبر عملية نقدية يتركز على الظاهرة اللغوية ويبحث في قيم الجمال الواردة في قيام الكلام، على عكس النقد الذي يعتمد في اختياره على عنصري الصحة والجمال والصحة مادة الكلام أما الجمال فجوهره ومركز الإبداع، ومنه فالعلاقة بين النقد والأسلوبية علاقة فعالة ووطيدة يساهم كل واحد فيهما في خدمة الطرف الآخر رغم الاختلاف السائد حول العلاقة بينهما إلا أن لكل واحد طريقة في مساءلة العمل الإبداعي¹⁴، كل هذه العلوم وغيرها استفاد منها النقد الأسلوبي في مهمته النقدية التي تركز على مقارنة النصوص لاكتناه خصوصية الإبداع الفني في كل أثر أدبي، وكما ذكرنا آنفاً سنحاول تطبيق آليات التحليل الأسلوبي في أنشودة المطر للشاعر العراقي بدر شاكر السياب الذي اتسمت كتاباته الشعرية بالكثير من الخصائص الأدبية.

¹⁴- رابح بن خوية، مقدمة في الأسلوبية، ص 56.

4/ البنيات الأسلوبية في أنشودة المطر:

1/4 البنية الصوتية: يعدّ الصوت من منطق الدراسة اللغوية الوحدة الصغرى التي تتكون منها الكلمة "لأن استثمار المستوى الصوتي بوصفه أحد مكونات النص الشعري لدى السيّاب لا يعدّ أمراً خارجياً على الشعر سواء أكانت الدراسة تشدّد على خصائص البنية العروضية أم على خصائص البنية الصوتية المنبثقة في النص الشعري"¹⁵ وللوقوف على حقيقة البنية الصوتية لا بدّ أن نشير إلى الإيقاع الخارجي والداخلي اللذين شكلا محور البنية الصوتية في أنشودة المطر ومنها استمدت قوتها الموسيقية والنغمية التي ساهمت في إيصال المعاني وتقوية أثرها في النص، فالإيقاع الخارجي اعتمد الشاعر في قصيدته على بحر الرجز وهو نسق من الحركات والسكنات يلتزمه الشاعر في نظمه للشعر، "وقد اتبع الشعراء أنساقاً مختلفة يطلق على كل منها بحر، فالبحر نسق خاص من الحركات والسكنات، وقد اصطلاح علماء العروض على أن يتخذوا من التفعيلات ميزاناً للشعر، والتفعيلة كوحدة من الحركات والسكنات"¹⁶ ولقد اعتمد السيّاب في شعر على هذا البحر إيماناً منه بأنه البحر الذي يوصل آلامه آماله فيقول في أنشودته¹⁷

عيناك غابتنا نخل ساعة السحر

أو شرفتان راح نأى عنهما القم

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء... كالأقمار في نهر

ولقد استخدم فيها الشاعر تفعيلة مستفعلن في قصيدته وجاءت تتخللها زحافات لتعبر عن الحالة النفسية التي تختلج الشاعر من انفعالات وصدمات نفسية، أما البحر فكان رجزاً لكونه يأتي على ثلاثة أجزاء وهو من

¹⁵- موسى رابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص: 60.

¹⁶- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة تحفة، مصر، ط1، 2009، ص: 45.

¹⁷- بدر شاعر السيّاب، أنشودة المطر (الديوان)، دار العودة بيروت، ط1، 1981، ص: 167.

البحور المضطربة وهذا يناسب حالة الشاعر في وطنه العراق، واختاره ليعينه في خطابه وبطريقة غير مباشرة للمطر، كاشفا له حالته وحال بلده العراق ويتمنى الخلاص والحل لذلك ويضيف أحد الدارسين قائلاً "والرجز مطية الشعراء وأول ركوب في الأنواع الشعرية"¹⁸، أما الإيقاع الداخلي فشكل كنه القصيدة وذلك من خلال

مجموعة من الظواهر الصوتية التي أثرت في معاني القصيدة ورسمت تشكيلها الصوتي ومنها التكرار الذي استخدمه الشاعر في قصيدته ساهم بشكل كبير في رسم الموسيقى التي ناسبت الحالة النفسية للسياب فنجد مثلاً تكرار كلمة مطر في قوله مطر مطر مطر ولم يقتصر التكرار على المفردة بل شمل التركيب ويظهر ذلك في قوله¹⁹

يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والردى..

يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والردى ...

2/4 البنية التركيبية:

لقد عملت البنية التركيبية في قصيدة أنشودة المطر على ربط وشائج النص الشعري ومنها التقديم والتأخير حيث يعد أسلوب التقديم والتأخير من الموضوعات التي نالت حظاً وافراً من قبل النحويين والبلاغيين فهم ظاهرة من ظواهر اللغة العربية: "والتقديم التأخير من مجال الأسلوبية باعتباره اختياراً في التعبير، وباعتباره انحرافاً عن النمط المؤلف"²⁰ إذاً اطلعنا على قصيدة أنشودة المطر نجد أن السيّاب استخدم ظاهرة التقديم والتأخير ومنها تقديم شبه الجملة (الخبر) على المبتدأ وفي العراق جوع والتركيب في أصله هو جوع في العراق وهنا دلالة على الحالة النفسية التي يعيشها العراق من حرمان وظلم، كذلك في قوله فتستفيق ملء روعي رعشة البكاء وهو تقديم المفعول به على الفاعل، وأصل التركيب تستفيق رعشة البكاء ملء روعي وهنا تعبير عن الفراق والحدة التي يعاني من الشاعر ويعيشها في بلده العراق ، وأيضاً تقديم الجار المجرور على الفاعل في قوله كأنما تنبض في غوريهما النجوم، والتركيب قبل التقديم والتأخير **تنبض النجوم في غوريهما**، وهنا الشاعر يتذكر

¹⁸- رجاء العبد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية مصر، 1993، ص 140.

¹⁹- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ص:45.

²⁰- المصدر نفسه ، ص164.

حالة النجوم اللامعة في ضباب العراق، وعليه لقد كان لقضية التقديم والتأخير دلالة في أنشودة المطر والتي تشير إلى الوضعية المضطربة المتغيرة لحال بلاده العراق وإمكانية عودة بلده كما كان.

كما استخدم الشاعر الكثير من التراكيب الاسمية والفعلية لتجسيد رفضه للأوضاع التي يمر بها شعبه العراق وتخلي كل الشعوب العربية عن مساعدته، فالشاعر نوع من الأسماء كدلالة للحالة الآنية التي تلازم وطنه وما آل إليه من دمار وهلاك وفساد من قبل الحكومة الفاسدة ، فكلمة مطر المتكررة في مختلف جوانب القصيدة تحيل على الأضرار الجسمية والنفسية التي يخلفها الاستعمار في قلوب العراقيين ،فرغم صرخاتهم ومنجاتهم لا عين ترى ولا يد تساعد هذه حال سلاطين العرب الذين اختفوا وراء ستار الجبن والجهل ومن الشواهد الشعرية

التي وظفها الشاعر كتراكيب اسمية وفعلية الكلمات التالية :عيناك ، غابة، يا واهب، ساعة السحر،الكروم ، الأضواء ، ترقص ،ينأى، تورق، تبسمان، يرحه ، المجذاف ، تنبض²¹، هي كلمات وغيرها وظفها الشاعر بتميز منقطع النظير معبرا عن حال العراق الباكي المهموم الذي أضحى غارقا في أمطاره ووديانه وأنهاره، ولم يقتصر الجانب التركيبي في القصيدة على ذلك بل استخدم الشاعر كثيرا ظاهرة التعريف والتذكير في الكثير من مفردات القصيدة بدءا بعنوان القصيدة الذي جاء نكرة أنشودة المطر ليفتح أبواب البحث والقراءة لدى النقاد والدارسين، وكذلك خشية من حكام السياسة الراضين لكل من يعارض سلاطين الحكم.

فالقارئ يتوسم في القصيدة من ظاهر العنوان خيرا مغردا قادما، لينبهر في ختام الدراسة من المغزى الذي يرمي الشاعر إيصاله للمجتمع ودعوته غير الصريحة بضرورة النهوض والتحرر من يد الاستعمار الغاشم ، كما يصور اعتقاده أن يد العرب التي كان يمدحها دوما وهنا يقصد المطر الذي يحمل خيرا يافعا للشعوب لم يعد كذلك والعراق غريقا يصارع الرياح والأمطار وعواصف الشتاء ويحلم بيزوغ فجر جديد ينير دروب الشعب العراقي، ومن المفردات التي ذكرت بصيغة التعريف والتذكير في القصيدة وهي كثيرة نذكر منها عيناك، غابة المجذاف السحر، القمر، الكروم، لطفل، الأضواء،النجوم، ضباب، شفيف،الشتاء،الحريف....²² أبدع من خلالها الشاعر في نسج نظراته للواقع المرير الذي يمر به شعبه من قهر وجوع وظلم.

فالشاعر في حسرة ونكبة على توالي الأيام وظلم الحكومة الملكية للشعب العراقي وانتهاجها أساليب شديدة لفرض سياستهم على الشعب العراقي لتكون بذلك أبيات القصيدة رسالة ثورية ودعوة للتحرر من قيود

²¹- المصدر السابق، ص:162

²²- المصدر نفسه ، ص:168.

الحكومة الملكية ، لهذا يمكن أن نقول أن النيات التركيبية أسهمت في تشكيل الإطار الدلالي للقصيدة بأسلوب متميز أبدع فيها الشاعر في تخير أحسن الأساليب على غرار أسلوب الخبير والإنشاء اللذين وظفهما لوصف الحالة الاجتماعية في العراق وما آل إليه فوظف الكثير من أساليب الاستفهام والنداء والتمني وكذلك الأساليب الخبرية باختلافها نذكر منها²³

كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم؟

أ تعلمين أي حزن يبعث المطر؟..

يا خليج يا واهب اللؤلؤ والجار والردى

.... وإن تهاشم الرفاق أنها هناك

.... وفي العراق الجوع

... لم تترك الرياح ثمود

فالشاعر من خلال نظمه لهذه الأساليب الإنشائية والإخبارية أراد أن يعكس مشاهد الحسرة والأسى لما وصل إليه الإنسان العربي وخاصة بلده العراق رافعا راية التحدي في وجه المطر الذي تعود على حمل الخيرات والمسرات، لكنه خالف التوقعات وأضحى ينهاك بالأرواح والأبدان والطبيعة مخالفا مهمته في زرع الخير ونشر السرور بين الناس.

3/4 البنية الدلالية : تتضمن قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السيّاب تسعة مقاطع، إلا أن الشاعر يتحدث عن ثلاثة مواضيع، يتحدث عن المرأة الحبيبة، عن طفولته وعن وطنه العراق. فالسيّاب قد استهل أنشودته تتصل بموضوعها اتصالا وثيقا "فالحبيبة التي ناجاها في السطر الأول هي الأم أو الأرض أو العراق، وذلك المقصد أو المعنى المترادف في ثلاثة ألفاظ هو الغاية والموضوع والهدف، الذي نجح الشاعر في أن يجعل من معانيه ولألفاظه الثلاثة معنى واحدا متناسقا داخل عمله الإبداعي، فصور من حبه لبلاده سارية عند الإنسان الطبيعة، وعلى حد سواء" فالعينان غابتا نحيلا في لحظة زمنية أسرة وهي ساعة السحر، إذ " يرق النسيم في انبعائه السحري، أو شرفتان غطّاهما القمر بنوره، إعجاب الشاعر بالعينين الفطريتين العميقتين مع الشحوب،

²³- المصدر نفسه، ص:167.

وما فيهما من تشابك وتداخل بين ما يحيط من عراجين²⁴ ولقد ضمّن الشاعر في قصيدته الكثير من الصور الفنية من "تشبيه" "استعارة" "وكناية" للتعبير عن مقاصده وأفكاره الرامية لإيصال رسالته للمتلقي بطريقة متميزة أعطت للقصيدة بعدا جماليا منقطع النظير ومن الصور في قوله²⁵

عيناك غابتا نخيل ساعة السّحر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

فالشاعر أبدع هنا في نسج لوحة فنية تعكس المقدرة الفنية للشاعر ورغبته في التعبير عن الواقع حيث شبه عيون المرأة بغابة النخيل وقت السّحر، فمن حبه لمحبوته اتخذ الطبيعة أنيسا لوحده وهو تشبيه بليغ صور من خلاله معاناة وطنه الولايات والنكبات ومن الصور التشبيهية كذلك قوله²⁶

تثائب المساء والغيوم وما تزال

تسّح ما تسّح من دموعها الثقال

كأن طفلا بات يهذي قبل أن ينام

فالشاعر شبه الحالة التي تعتري المرء لدى حلول المساء، بما فيه من كرب وحزن بحالة طفل يهذي قبل النوم فيذكر أمه التي فقدها، وهو لا يفقه معنى الموت وهي رمزية شعرية يعكس فيها الشاعر صور الموتى وفراق

²⁴- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر (الديوان)، ص: 168.

²⁵- المصدر نفسه، ص: 168.

²⁶- المصدر السابق، ص: 164.

الأحبة، كما استعان الشاعر بالاستعارة باعتبارها من أهم الصور الفنية رغبة منه في تجسيد رؤيته الراضية لكل مظاهر الفساد والاستعمار، ومن مظاهر الاستعارة قوله²⁷

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

حيث شبه في هذا المقطع العينان بالإنسان وحذف المشبه وهو الإنسان وترك شيء من صفاته وهي الفعل تبسمان على سبيل استعارة مكنية وكذلك في قوله²⁸ وترقص الأضواء .. كالأقمار في نهر

وهنا شبه الشاعر الأضواء بالإنسان حيث حذف المشبه به المتمثل في الإنسان وترك أحد لوازمه وهو الرفض على سبيل استعارة مكنية تعكس محبته الشديدة لمحبوته وكذلك وطنه الذي رمز له برمزية المرأة، وطبعاً لم يقتصر الأمر على توظيف الاستعارة والتشبيه بل وظف الشاعر كذلك الكناية باعتبارها فناً من الفنون التي تمنح النصوص غنى دلاليًا، وقد أفاد من الشاعر في عدة مواقع نذكر منها قوله²⁹

وكرر الأطفال في عرائش الكروم

ودغدغت صمت العصافير على الشجر

هنا تستوقفنا كنايةان الأولى تبرز في السطر الأول في قول الشاعر وكرر الأطفال في عرائش الكروم وهي صورة كناية تحيل على السعادة التي يحملها المستقبل وتحدد الحياة، أما الثانية تكمن في السطر الثاني السالف الذكر وهي كناية على الحرية والانطلاق أراد بها الشاعر بعث الأمل على وطنه وضرورة الكفاح من أجل استرجاع حقوقه من الحكومة الملكية الذي رمز له بالمطر الذي بعث بكل ثروات الطبيعة كما وظف الكناية في قوله³⁰

وعبر أمواج الخليج تمسح البروق

سواحل العراق بالنجوم والمخار

واستخدم فيها الشاعر كلمتي النجوم والمخار وهي كناية عن الثروات والخيرات الموجودة في العراق وفي قوله تمّ بالشروق وهنا كناية عن الأمل في زوال الحكومة العراقية التي نهب ثروات العراقيين ، ومنه فالصورة الفنية قد

²⁷- المصدر نفسه، ص: 164.

²⁸- المصدر نفسه، ص: 167.

²⁹- المصدر نفسه، ص: 164.

³⁰- المصدر السابق، ص: 167.

لعبت دورا مهما في تشكيل البنية الدلالية للقصيدة وتجسيد نظرة الشاعر تجاه وطنه الذي نكّل به الاستعمار وخلف أثارا جسيمة في حياة العراقيين خاصة والشعوب العربية عامة، فجاءت القصيدة حاملة لأصوات الرفض والدعوة للتحرر والنهوض من أجل استرجاع الوطن رغم كافة الظروف إلا أن شعلة الأمل لا تزال قائمة في عودة النور وبزوغ فجر الحرية.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة التي تبحث في خصوصية التشكيل الأسلوبي في إحدى القصائد الشعرية المتميزة لغة وأسلوبا للشاعر المتميز بدر شاكر السياب الذي أعطي لغة ذات بعد إيحائي مزج فيها بين بلاغة الكلمة وجمال الصورة في تقديم صورة حية عن المشهد الإنساني في بلاد العراق وما تعيشه من ثورات وويلات جراء الاستعمار الظالم وكذلك سياسة الحكومة الفاسدة في محاربة كل رافع لراية التحرر والحرية لنخلص في الأخير إلى جملة من النتائج يمكن ذكرها وفق النقاط التالية:

1/ تمثل الأسلوبية مجالا مهما في الدراسات النقدية الحديثة نظير سعيها الدائم بدراسة ووصف طرائق تشكل النصوص واستنطاق الخصائص الجمالية والفنية التي تشكل عوالم النصوص الإبداعية.

2/ الأسلوبية منهج نسقي يهتم بالنص في ذاته ومن أجل ذاته بعيدا عن المؤثرات الخارجية وكل ما يحيل على حياة المؤلف، لأن هدفها الأساس تفكيك وتشريح النصوص في عناصرها اللغوية والتركيبية والدلالية بحثا عن أدبية النصوص واختلاف بعضها البعض.

3/ لقد تفرعت من الاتجاه الأسلوبي عدة اتجاهات تسعى كل واحدة لدراسة وفحص النص من وجهة معينة على غرار الأسلوبية التعبيرية وكذلك النفسية والبنائية والإحصائية التي تسعى إلى مساءلة النصوص واستظهار خصوصية الأسلوب في مختلف الكتابات الأدبية

4/ للأسلوبية علاقة شديدة بعلوم تداخلت معها مادة وموضوعا في عملية تحليل ودراسة حقائق تشكل الأسلوب، كالعلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي والبلاغة حيث أسهمت كل هذه العلوم في خدمة الدرس الأسلوبي منهاجا وتحليلا.

5/ لقد أسهمت البنية الصوتية بتقنياتها القائمة على الإيقاع بأنواعه وظاهرة التكرار في تجسيد نظرة الشاعر الحاقدة نحو الاستعمار المستبد لبلده العراق، فحملت هذه البنيات تأكيدا على حال العراق ودعوة للتحرر والجهاد في سبيل الوطن وضرورة القضاء على الحكومة الفاسدة.

6/ أفاد الشاعر كثيرا في المستوى التركيبي من أساليب كالقديم والتأخير والتعريف والتنكير وتوظيف الأسماء والأفعال لتوكيد فكرته القائمة على ضرورة النضال ورفع راية التحدي في وجه الحكومة الملكية، كما استخدم أسلوبي الخبر والإنشاء رغبة في وصف حسرته ونكبتة لما آل إليه حال شعب العراق من فساد وظلم.

7/ شكلت الصور الفنية مرتبط الفرس في جوهر القصيدة نظير الصور الرمزية التي استخدمها الشاعر لتقديم نظرة عامة عن المشهد المأسوي الذي ألمّ بالعراق، كما حاول الشاعر أن يبعث رسالة تحمل الكثير من الأمل لأبناء شعبه بضرورة الكفاح ضد سياسة الحكم الفاسدة لبزوغ نور الحرية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة، مصر، دط، 2009.
- 2/ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط، 2006.
- 3/ بدر شاعر السياب، أنشودة المطر (الديوان)، دار العودة بيروت، ط، 1981، 2.

- 4/ حسن ناظم ، البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر للسياب ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،المغرب، دط،2002.
- 5/ يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، الأردن ،ط1، 2007.
- 6/ موسى رابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها، دار الكندي الأردن، ط2003،1.
- 7/ نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1 دار هومة، الجزائر، دط،1997.
- 8/ سعد مصلوح، الأسلوب ، عالم الكتب ،القاهرة، مصر، ط1996،3.
- 10/ عدنان بن ذريل: اللغة والأسلوبية، اتجاه الكتاب العرب، ، سوريا، ط1980،1
- 11/ صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1996،1
- 12/ رابع بن خوية، مقدمة في الأسلوبية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،اريد، الأردن ،ط2013،1.
- 13/ بن يحي فتيحة: تحليلات الأسلوب و الأسلوبية في النقد الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007.